كشف الغمة عن مشكلات الأمة وترياق تمكينها ورفعتها
دراسة قرآنية

أ.د. حسن عبد الجليل العبادلة
جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن
كلية السلط للعلوم الإنسانية
abadela@bau.edu.jo

©نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: العبادلة، حسن عبد الجليل، كشف الغمة عن مشكلات الأمة وترياق تمكينها ورفعتها دراسة قرآنية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عدد خاص للمؤتمر القرآني الدولي الثالث المجلد (3)، سبتمبر 2025: 241-270.

DOI: https://doi.org/10.61821/con3v3.216

الملخص:

يعدُّ هذا البحث دراسة تحليلية لآيات القرآن الكريم تكشف اللثام عن السبب الرئيس في ظهور المشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية، هذه المشكلات والتحديات التي أسهمت ومازالت تسهم في تَفَرّق السُبُل بعدد غير قليل من أبناء المسلمين وبلادهم، والتي انعكست أثارها وَهْنَاً وضعفا وعجزا وتراجعا في كافة مجالات الحياة، من الناحية التربوية والاجتماعية والمالية والاقتصادية والسياسية والعلمية والحضارية... ثم أشير إلى سُبُل تدارك هذا العجز والوهن والضعف الذي تعيشه الأمة في هذه الحقبة الزمانية، وسُبُل رقيها ورفعتها وعزتها وتبوئها مكانتها العليا التي أرادها الله لها. معتمدًا المنهج الاستقرائي التحليلي لآيات القرآن الكريم. ولتحقيق الهدف المنشود قَسَّمت بحثي إلى ثلاثة مباحث، تحدثت في المبحث الأوّل عن الغاية من خَلْق المُكَلفين من إنس وجان، وما هيأه الله لهم في هذه الدنيا من وسائل يحققون بها الغاية من خلقهم، وبَيّنت أقسامهم في تحديد أهدافهم في الدنيا وفقًا لإيمانهم. وخصصت المبحث الثاني للحديث عن أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور المُشكلات المختلفة في الدولة الإسلامية. وأشرت في المبحث الثالث إلى سبيل علاج جميع هذه المشكلات ورفعة مكانة الأمة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: مشكلات، الأمة الإسلامية، حلول قرآنية، تحديات معاصرة.

Uncovering the Nation's Problems and the Antidote to Empower and Elevate It
A Qur'anic Study

Prof. Dr. Hassan Abdul-Jalil Al-Abadlah
Al-Balqa Applied University - Al-Salt College of Humanities
Jordan

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.

Citation: Al-Abadlah, Hassan Abdul-Jalil, Uncovering the Nation's Problems and the Antidote to Empower and Elevate It -A Qur'anic Study, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, Special Issue of the third International Qur'anic Conference, Volume (3), September 2025:241-270.
DOI: https://doi.org/10.61821/con3v3.216.

Abstract:

This research focuses on an analytical study of Quranic verses to address the challenges and issues facing the Islamic Ummah (Community). These challenges have contributed to, and continue to foster, divisions among Muslims and their countries, resulting in the Ummah's weakness, incapacity, and decline in various areas of life, including education, society, finance, economics, politics, science, and culture.

The research outlines ways to address the Ummah's current state of weakness and incapacity and suggests methods for advancing its dignity and achieving the esteemed status that God intended for it. The study employs an analytical inductive approach to interpret Quranic verses.

The study is divided into three sections to accomplish the desired objectives. The first section discusses the purpose of creation for both humans and jinn, as well as the means provided by God for them to fulfill that purpose in this world. It also examines the divisions that influence individuals' goals according to their faith. The second section is dedicated to exploring the primary reasons that have led to various problems within the Islamic Ummah. Finally, the third section outlines solutions to these problems and ways to elevate the status of the Islamic

Ummah.
Keywords: problems, Islamic Ummah, Quranic solutions, contemporary challenges.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان من سلالة من طين، فسواه وعدله وشق سمعه وبصره، وفي أحسن تقويم قوّمه، والبيانَ علمه، وفي الجنة أكرم نُزُله إذ خلقه قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[سورة: البقرة، آية: 35] ، وفي الأرض استخلفه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[سورة: البقرة، آية: 30] . والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الإسلام وهادي الأنام هو والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم وعلى آل كل وصحب كل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يكشف اللثام ويبيّن السبب الرئيس في ظهور كافة المشكلات التي واجهت وتواجه الأمة الإسلامية في هذه الحقبة الزمانية، سواء المشكلات الاجتماعية والتربوية والعلمية والسياسية والمالية والبيئية... ويُبيّن أيضا طريقة علاج هذه المشكلات ومنهج الرّقي بهذه الأمة الإسلامية لتتبوأ منزلتها العليا التي أرادها الله لها بين كل الأمم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[سورة: التوبة، آية: 33] و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[سورة: الفتح، آية: 28] .

وقد اخترت الكتابة في هذا الموضوع لأهميته التي لا تخفى على أحد إذ يمس حياة كل مسلم، وكل إنسان على هذه الأرض. وللمشاركة والإسهام في أعمال المؤتمر القرآني الدولي الثالث الموسوم بـ" القرآن الكريم ومشكلات الأمة المعاصرة" الذي تفضل منظموه بالتنبيه إلى أهمية القرآن الكريم في معالجة جميع النوازل التي تصيب هذه الأمة قال تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[سورة: الأنعام، آية: 38] ، مستشهدين بقول الله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ

يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾[سورة: الإسراء، آية: 9] .

فالمشكلات والنوازل التي سبق أن واجهت الأمة الإسلامية وتواجهها في هذه الحقبة الزمانية متعددة كثيرة، على إثر ذلك تعددت البحوث والدروس والخطب التي تتحدث عن تلك المشكلات، وعلاجها في القرآن والسنة النبوية المشرّفة. إلا أنني لم أقف عند ما كتب سابقًا، بل سأبحث هذا الموضوع بحثًا تأصيليًّا جديدًا وفق رؤيةٍ كُلّيّة، وتحليل عملي لآيات القرآن الكريم، لأقف على السبب الرئيس في ظهور كل تلك المشكلات، وما سيظهر منها لاحقًا. وبيان طريق علاجها، والارتقاء بالأمة لمكانتها المرموقة بين الأمم، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف قَسَّمت بحثي إلى ثلاثة مباحث، تحدثت في المبحث الأوّل عن الغاية: من خَلْق المُكَلفين من إنس وجان، وما هيأه الله لهم في هذه الدنيا من وسائل يحققون بها الغاية: من خلقهم، وبَيّنت أقسامهم في تحديد أهدافهم في الدنيا وفقا لإيمانهم، وبَيّنت وسيلة الشيطان في تحقيق أهدافه. وخصصت المبحث الثاني للحديث عن أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور المشكلات المختلفة في الدولة الإسلامية. وأشرت في المبحث الثالث إلى سبيل علاج جميع هذه المشكلات ورفعة مكانة الأمة الإسلامية.

معتمدًا المنهج الاستقرائي التحليلي في آيات القرآن الكريم متمسكًا بقيم الأمة وثوابتها ومعتمدًا منهج البحث العلمي. سائلًا الله العلي العظيم التيسير والسداد والتوفيق، ونَظَّمت البحث على النحو الآتي:

المقدمة:

المبحث الأول: بيان الغاية: من خَلْق الله للمكلفين

المطلب الأول: بيان الغاية: من خلق الإنسان.

المسألة الأولى: أقسام الناس في تحديد هدفهم في الحياة.

القسم الأول: من آمن بالله تعالى.

القسم الثاني: من كفر بالله تعالى.

المسألة الثانية: الوسائل التي هيأها الله للإنسان لتحقيق الغاية: من وجوده.

أولًا: التكاثر وحفظ النفس.

ثانيًا: الرزق والمال.

ثالثًا: الحُكم والسلطان.

المطلب الثاني: بيان الغاية: من خلق الجان.

المسألة الأولى: أقسام الجان في تحديد هدفهم في الحياة.

القسم الأول: من آمن بالله من الجِنّ.

القسم الثاني: من كفر بالله من الجِنّ (الشياطين).

المسألة الثانية: أهداف الشياطين وغاياتهم.

أولًا: معاداة الإنسان.

ثانيًا: إضلال الإنسان عن الصراط المستقيم.

ثالثًا: إدخال الناس إلى النار.

المسألة الثالثة: الوسيلة التي اتبعتها الشيطان في تحقيق أهدافه.

المبحث الثاني: أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور المشكلات في الدولة الإسلامية

المطلب الأول: معصية الله وما ينبثق عنها.

أولًا: حلول غضب الله.

ثانيًا: الضلال عن سبيل الرشاد.

ثالثًا: الخلود إلى الأرض.

رابعًا: تولّي الشيطان.

خامسًا: تزيين سوء العمل.

المطلب الثاني: اتخاذ الوسائل التي هيأها الله له في الأرض لتحقيق العبودية غايات.

المسألة الأولى: التكاثر والحفاظ على النفس.

المسألة الثانية: الرزق والمال.

المسألة الثالثة: الحُكم والسلطان.

المبحث الثالث: بيان سبيل علاج المشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية، ورفعة مكانتها.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

بيان الغاية: من خَلْق الله للمكلفين

استنادًا للآيات القرآنية الكريمة فإن فهم هذه المسألة وما ينبثق عنها يعد أهم المسائل التي تؤثر في مكانة ومنزلة الأمة الإسلامية -في نظري-، إذ هي أول خطوة يسير بها الإنسان على طريق الحق المستقيم وهي اللَّبِنَة الأولى في بناء صرح الأمة الإسلامية، وهذا ما سيتبين لنا بالأدلة فيما يأتي من هذا البحث بإذن الله تعالى؛

فمن الأمور التي لا يختلف عليها أحد من البشر أنهم موجودون على هذه الأرض، وأنهم غير مُسَيَّرين فيها، وقد وُهِبوا من العقل والفهم ما يستطيعون به أن يهتدوا إلى أن هذا الوجود لم يكن عبثا، بل لا بد له من بدآية، ولا بد له من موجد. فالله واجب الوجود؛ لأن كل المخلوقات لا يمكن أن توجد من تلقاء نفسها بل لابد لها من موجد، والدلائل على ذلك أكثر من أن تحصى يشير إليها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[سورة: آل عمران، آية: 190] وهذا الوجود لا يمكن الوصول إلى بدايته وكيفيته إلا بخبر يقين ممن أوجده، ولا يكون ذلك إلا من خلال الوحي والرُّسُل وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة ومنها؛ قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[سورة: الشورى، آية: 51] وقول الله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ ﴾ [سورة: آل عمران، آية: 193]

المطلب الأول: بيان الغاية: من خلق الإنسان

المكلفون من الخلق هم الجنّ والإنس، ومعلوم أن خلق الجنّ كان سابقًا لخلق الإنس، إلا أنني قدمت موضوع الإنس لأن الغاية: من البحث متعلقة بهم.

المسألة الأولى: أقسام الناس في تحديد هدفهم في الحياة

أول أمر يجب على الإنسان المسلم أن يدركه هو الغاية: من وجوده، وهذه المعرفة

ستكون مفتاحا لأسلوب ومنهج حياته كلها. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله **تَعَالَىٰ**: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[سورة: الذاريات، آية: 56 – 58] : وقوله تَعَالَىٰ:﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [سورة: الزخرف، آية: 45] . فالغاية: من خلق الإنسان هي عبادة الله مخلصًا له الدين، وهذا أعظم تكريم للإنسان أن يأذن الله له بعبادته، فالله غني عن العالمين، وهم الفقراء إليه وهو الرزاق الذي لا يُمنَعُ رِزْقُه. وعدم إدراك هذه الغاية: يُضِل الإنسان عن سواء السبيل، وتتيه خطاه وتضيع حياته سدى.

اختيار الإنسان هدفه في الحياة

لما كان الإنسان مأمورًا بعبادة الله ومأجورًا عليها، اقتضى عدل الله تعالى ألّا يجبره عليها، وترك له حرية الاختيار لتحقيق الاختبار وتكريم العباد الأخيار.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [سورة: الإنسان، آية: 2–3] بناء على ذلك انقسمت أهداف الناس في الحياة الدنيا إلى قسمين:

القسم الأول: أُناس آمنوا بالله وأخلصوا له العبادة وكانت غايتهم وهدفهم في الدنيا الفوز برضوان الله تعالى. وهؤلاء تخلوا عن كل هوى للنفس لتحقيق هدفهم المنشود، فقدموا الغالي والنفيس –أنفسهم وأموالهم– مقابل مرضاة الله. حتى أن قتالهم في سبيل الله كان طاعة لله لا للنصر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [سورة: التوبة، آية: 111].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه: « عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. قَالَ: عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ:

يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟. قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ»[1]

القسم الثاني: وأناس كفروا بالله وأخلدوا إلى الأرض واتبعوا الشهوات وهوى الأنفس **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[سورة: البقرة، آية: 16] ، وهؤلاء لا يستحقون أن يكرمهم الله ويشرفهم بعبادته بسبب كفرهم، فلا يتولاهم الله ويوكلون إلى أنفسهم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۞ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ... وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 6-16] وقد بيّن هذا الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: « الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدنيا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هاجر إليه»[2]. والهجرة هنا لا تعني الانتقال من بلد إلى بلد بل تعنى تحديد الغاية: والهدف من الحياة التي يعيشها الإنسان

المسألة الثانية: الوسائل التي هيأها الله للإنسان لتحقيق الغاية: من وجوده

كرَمُ الله على الإنسان عظيم لا يمكن أن يحصى، ومن ذلك أنه خلقه في أحسن تقويم،

(1) القشيري. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (1509/3)، باب ثبوت الجنة للشهيد، حديث رقم 1901. وينظر الأسفرائيني. أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، مسند أبي عوانة، (459/4) باب ثواب الشهيد في سبيل الله، حديث رقم 7335.

(2)-البُخَارِيّ. محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان حديث رقم 54.

وشــق سمعه وبصــره، ووهبه عقلا وفهما يدرك به الخير والشّــر، ويعمر الأرض التي هيأها الله ومهدها لعيش الإنســـان عليها وعمارتها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۞ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۞ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۞ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۞ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۞ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۞ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۞ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾ [ســـورة: النبأ، آية:6- 16] وقدّر أقوات كل من يعيش عليها إلى يوم الدين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾[سورة: فصلت، آية: 10]

ومما هيأه الله للإنسان من وسائل وسبل عمارة الأرض، يحقق بها الغاية: الرئيسة من وجوده الذي بيّنه الله تعالى في قوله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة: الذاريات، آية: 56] ، ما يأتي:

أولًا: التكاثر وحفظ النفس: من أسس عمارة الإنسان للكون الحفاظ على جنسه، ويكون ذلك من خلال التكاثر، وهذه منّة وعطاء وكرم من الله على بني آدم؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[سورة: النساء، آية: 1]و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[سورة: الأعراف، آية: 189] ، وقد نظم الله سبحانه وتعالى هذا التكاثر وفق أسس وتشريعات أعلمها للناس من خلال رسله، ففي رسالة الإسلام المنزلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يظهر هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ ... يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[سورة: النساء، آية: ٢٣-٢٦] ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[سورة: المؤمنون، آية: ٥ – ٧]

ثانيًا: الرزق والمال

من كرم الله على الإنسان أن أخرج له من الأرض من الطعام والشراب والزينة ما يحفظ به حياته ويشهد نعم الله السابغة عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾[سورة: البقرة، آية: 168] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۞ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ۞ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ۞ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۞ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۞ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۞ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۞ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۞ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ [سورة: عبس، آية: 24 – 32]،

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ ... ﴾[سورة: الأنعام، آية: 141]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ۞ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [سورة: طه، آية: 53-54]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۞ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۞ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۞ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ [سورة: النازعات، آية: 30-33] .

وهذه النعم أخرجها الله لعباده الصالحين، وإن تنعّم بها غيرهم في الحياة الدنيا فهي دار اختبار؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة: الأعراف، آية: 31-32]

وهذا الرزق الذي استخلف الله فيه الإنسان نظم له أسسا في استخدامه وطلبه، وفقا للشرائع التي أنزلها الله على رسله؛ تحقيقا للعبودية لله تعالى، واختبارا للبشر، منذ بدء الخليقة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة: البقرة، آية: ٣٥] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة: الأعراف، آية: 19] . فالعبودية لله تقتضي

الطاعة المطلقة والتسليم والانقياد لأمر الله تعالى، فالشرائع قد تختلف وفق الرسالات التي ينزّلها الله على رُسُلِه؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ ... ﴾ [سورة: آل عمران، آية: 93]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ ... ﴾ [سورة: آل عمران، آية: 49 – 50] ، فالأمر كله لله وليس على المؤمن إلا الطاعة والامتثال.

من أوجه التنظيم الإلهي لهذا الرزق قوله تَعَالَىٰ:﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ...قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة: الأنعام، آية: 141-145]

وهذا الثمر وما تخرجه الأرض للناس بأمر الله إنما هو رزق من عند الله قدّره لجميع عباده، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ [سورة: الذاريات، آية: 22 – 23] ، وهذا الرزق يُقَيِّمُ مالا؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ... وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾ [سورة: الكهف، آية: 34-39]

فالمال لله والإنسان مستخلف فيه؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ ﴾ [سورة: النور، آية: 33]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِى ٱلۡقُوَّةِ ... وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ﴾ [سورة: القصص، آية: 76 – 77] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ﴾ [سورة: الروم، آية: 40]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴾[سورة: المدثر، آية: 12]

وقد نظم الله سبحانه وتعالى أسس اكتساب المال وإنفاقه وفقًا للشرائع التي أنزلها مع رسله؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا

تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [سورة: الأنعام، آية: 141]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [سورة: الإسراء، آية: 26]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة: الروم، آية: 38]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[سورة: البقرة، آية: 177] .

ثالثا: الحكم والسلطان

مما أكرم الله به الناس في هذه الدنيا أنه لم يجعلهم على هيئة واحدة وتفكير واحد وصفة واحدة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [سورة: الروم، آية: 22] وهذا التنوع والاختلاف لم يكن للفرقة بل للتعامل بالمعروف قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة: الحجرات، آية: 13]، وهذا ما أسهم ويسهم في عمارة الأرض وتطور حضارتها؛ فبهذا تنوعت أهواؤهم وقابلياتهم وتعددت أعمالهم وصنائعهم، وهذا كله من فضل الله تعالى وبأمره؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [سورة: الزخرف، آية: 32]

وجعل سبحانه وتعالى على رأس هذه الدرجات الدنيويّة، السلطان والحُكم والملك – المجازي– في الدنيا، أما الملك الحقيقي في الدنيا والآخرة فهو لله وحده؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [سورة: المؤمنون، آية: 116]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ

نَقِيرًا ﴾[سورة: الفرقان، آية: 2] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[سورة: فاطر، آية: 13]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [سورة: الزمر، آية: 6] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة: الحشر، آية: 23]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة: التغابن، آية: 1]

والله سبحانه وتعالى يستخلف على هذا الملك والسلطان الدنيوي من يشاء من عباده، ليس لأحد غيره أن يستخلفهم، –سواء كانوا على طريق الهداية: أم مجانبين لها – **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة: آل عمران، آية: 26]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 258]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 247] ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 251]

وقد نظم الله سبحانه وتعالى أسس التعامل فيما بين الناس على مختلف درجاتهم، ومنازلهم في الدنيا، وبَيّن حقوقهم وواجباتهم كل وفق درجته التي أحلّه الله فيها من خلال الشرائع التي أنزلها مع رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

يقول رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ

عَلَى مَالِ زَوْجِهَا، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ»[1] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾[سورة: غافر، آية: 29].

المطلب الثاني: بيان الغاية: من خلق الجان

أول المكلفين من الخلق هم الجانّ ومعلوم أن الله خلقهم قبل خلق الإنسان، والغاية: من خلق الجان هي عينها من خلق الإنسان وهي؛ عبادة الله مخلصين له الدين، وهذا أعظم تكريم للجان أن يأذن الله لهم بعبادته، فالله غني عن العالمين، وهم الفقراء إليه وهو الرزاق الذي لا يُمنَعُ رِزْقُه. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[سورة: الذاريات، آية: 56 – 58].

المسألة الأولى: أقسام الجان في تحديد هدفهم في الحياة

لما كانت الجنّ مأمورة بعبادة الله تعالى ومأجورة عليها، اقتضى عدل الله تعالى ألّا يجبرهم عليها، وترك لهم حرّية الاختيار ليتحقق الاختبار فيثاب الصالحون جنَّة ونعيمًا ويجزى الكافرون نارًا وجحيمًا. وقد أعلمهم الله سبحانه وتعالى برسالاته وشريعته التي أمرهم باتباعها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ۝ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ [سورة: الأنعام، آية: 130-131] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ

(1)الأزدي، معمر بن راشد، الجامع، (319/11)، باب الإمام راع، حديث رقم20649. وينظر الأصبحي. مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، (182/2)، باب كسب الحجام، حديث رقم2121

طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة: الأحقاف، آية: 29-32] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۞ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ... وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [سورة: الجن، آية: 1-17] . تُظهر الآية: الكريمة أن الجنّ ليسوا سواء، وهم كالبشر مُخيَّرون كحال الإنس من حيث الإيمان يقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: من آمن بالله واتبع طريق الهدى

هؤلاء يثابون الجنّة، والحديث عن حياتهم وأعمالهم وعباداتهم مستور عن البشر لاختلاف خَلْقِهم عن خَلْق البشر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[سورة: الرحمن، آية: 14-15]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [سورة: الأعراف، آية: 27] . ولم يجعل اللهُ منهم خليفة في الأرض. تأسيسا على ذلك لا يمكنني الحديث عن الوسائل المتاحة لهم في إقامة شرع الله الذي أمرهم باتباعه، ولا بما يُمتَحَنون به في الدنيا، إلا ما ذُكر في آيات القرآن الكريم وصحّ سنده في الحديث النبوي الشريف وهو قليل، نحو ما ورد في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۞ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ... وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [سورة: الجن، آية: 1-17]

القسم الثاني: من عصى الله منهم وكفر به فهؤلاء بَيَّن الله تعالى في القرآن الكريم أهدافهم وأعمالهم ووسائلهم المتبعة في تحقيق أهدافهم وكشف سترهم.

الكافرون من الجِنّ هم الشياطين؛ وهم إبليس وذريته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ

عَدُوٌّۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾[سورة: الكهف، آية: 50].

لا بد من الإشارة إلى أن هذا الاستثناء الوارد في الآية: الكريمة استثناء منقطع فهو استثناء من الساجدين لا من الملائكة، يدل على ذلك قول الله تَعَالَىٰ:﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة: ص، آية: 73 – 74]، فقول الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾يشير صراحة إلى أن إبليس ليس من الملائكة؛ فالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴾ [سورة: النحل، آية: 49-50].

أما أَمْرُ الله سبحانه وتعالى للملائكة بالسجود فهو أمر تقرير وتنفيذ من قبلهم لأنهم غير مُخَيَّرين، وأمر إعلام وإفهام للمكلفين المخيّرين وهم الجِن في ذلك الوقت.

ونحن البشر –من أسلم منا– نسجد لله متوجهين إلى الكعبة مستقبلينها في صلاتنا امتثالًا لأمر الله تعالى وما أحد من المسلمين يعبدها، وقد كان المسلمون سابقًا يتوجهون إلى بيت المقدس في صلاتهم لله تعالى امتثالًا لأمر الله أيضًا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ...وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 143-144] فالامتثال لأمر الله تعالى وجه من أوجه الاختبار الذي يقتضيه التَخْيير، لإحقاق نيل الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى.

المسألة الثانية ؛ أهداف الشياطين[1] وغاياتهم؛

إن عالم الجن مستور عن عالم الإنس قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [سورة: الأعراف، آية: 27] ، لذلك فإن معرفة شؤونهم وأحوالهم وأفعالهم لا يمكن إدراكها من قبل الإنسان . فمن فَضل الله تعالى وجوده وكرمه أن عَرَّف الإنسان بعدوّه الأوّل الذي أعرض عن تحقيق الغاية: الرئيسة من خلقه وهي عبادة الله واتخذ أهدافا غيرها في هذه الحياة الدنيا، وبَيَّن سبحانه وتعالى للإنسان ما يُحيكه له هذا العدو من مَكرٍ ودهاء ويُعِد له من فِتَن ووصب... وبَيَّن له هدف عدوّه من كل ذلك وهو إقصاؤه وإبعاده عن أعظم نعمة أنعمها الله عليه وهي عبادته سبحانه وتعالى، ليَحِلَّ عليه غضب الله وتُحجَبُ عنه رحمته، ويسوقه فعله إلى النّار.

أولًا: معاداة الإنسان

وهذه بعض الآيات الكريمة التي تظهر عداوة الشيطان وذريته للإنسان بصورة جليَّة؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴾ [سورة: فاطر، آية: 6] ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 208]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [سورة: الكهف، آية: 50]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾ [سورة: الأنعام، آية: 112]

ثانيًا: إضلال الإنسان عن الصراط المستقيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۞

(1)-تَبَيَّن لي من خلال هذا البحث أن كلمة (الشيطان) حيثما وردت معرّفة بأل فالمراد بها إبليس بعينه، أما كلمة (الشياطين) فيجوز أن تطلق على كفرة الإنس، وعلى كفرة الجِنّ الذين هم ذرية إبليس، ويَظهر تَخصِيصُ ذلك في سياق الآيات الكريمة عينها التي ترد فيها هذه الكلمة.

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۞ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [سورة: النساء، آية: 119 – 121]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [سورة: الأعراف، آية: 14-17]، و قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة: الحشر، آية: 16].

ثالثًا: إدخال الناس إلى النار؛

ومن الآيات الكريمة التي تظهر ذلك؛ قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[سورة: فاطر، آية: 6] ، وقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ۞ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة: الإسراء، آية: ٦٠ – ٦٤]

المسألة الثالثة: الوسيلة التي اتبعتها الشيطان في تحقيق أهدافه

لا يخفى على أحد أن خَلْق الجَان مختلف عن خَلْق الإنسان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [سورة: الرحمن، آية: 14-15]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [سورة: الحجر، آية: 26 – 27]

لذلك فإن طبيعة خلقتهم وإمكاناتهم تختلف عن البشر ومن ذلك قدرته على الوسوسة والتأثير على نفس الإنسان، فالنفس في الإنسان لها الأثر الأكبر في تحديد رغباته وشهواته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [سورة: الشمس، آية: 7 – 10]، وإن لم يطوعها الإنسان في كل حين لقبول أمر الله والسعادة به توسوس له بمخالفته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي

صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾[سورة: الناس، آية: 4 – 5]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[سورة: ق، آية: 16]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة: يوسف، آية: 53].

وبهذه الوسوسة يمكن للشيطان أيضا أن يؤثر على تفكير الإنسان وتزيين فعل السوء له، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[سورة: طه، آية: 120]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [سورة: الأعراف، آية: 20]

وهذه الوسوسة ليس فيها إجبار أو إكراه على اتخاذ القرار، ليبقى الإنسان المسؤول الوحيد عن اتخاذ قراره لتتحقق العدالة التامة في حسابه؛ إما ثوابًا وجنّة نعيمًا، أو عقابًا وبارًا وجحيمًا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة: إبراهيم، آية: 22]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۞ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سورة: سبأ، آية: 20 – 22] .

المبحث الثاني

أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور المشكلات في الدولة الإسلامية

كل ما قدمته في هذا البحث يعد بيانا للغآية: التي من أجلها خلق الله الدنيا بما فيها من زروع وزينة ونعيم ومال وسلطان... أخرجه الله وقدّره لعباده ليستعينوا به لتحقيق الغاية: الرئيسة من خلقهم قال تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة: الذاريات، آية: ٥٦]، وامتحنهم الله فيما آتاهم ومكنهم فيه.

فإن تم الإيمان بالله وتحقيق العبودية الخالصة له، وتم التمسك بشرع الله تعالى والامتثال لأوامره والالتزام بحدوده في الانتفاع بكل ما أخرجه الله للناس، وأوتي حَقُّ الله فيه، بذلك كله تَحُل البَرَكَة ويسعد الناس جميعًا ويؤتى كل ذي حق حقه. فلا فقر ولا حاجة ولا معاناة ولا معوقات ولا مشكلات تصيب الأمة أو أفرادها، وهذا ما أدركه المسلمون الأوائل فأقاموا دولة الإسلام على هذا الأساس المتين فشهدنا رفعة الأُمّة الإسلامية وعزتها وتقدمها. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة: الأعراف، آية: 57-58].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[1]

المطلب الأول: معصية الله وما ينبثق عنها من؛ حلول غضب الله، والضلال عن سبيل الرشاد، والخلود إلى الأرض، وتولّي الشيطان، وتزيين سوء العمل

إذا عصى الإنسان ربه أو كفر به، واجتنب شريعته وانتهك حدوده، فإنه بذلك يتولى

(1) الترمذي. محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، (573/4)، باب في التوكل على الله، حديث رقم 2344 حديث صحيح.

الشيطان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[سورة: الزخرف، آية: 36 – 37]، الذي يُزَيِّنُ له سوء عمله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [سورة: الأنفال، آية: ٤٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴾ [سورة: محمد، آية: ١٤]

المطلب الثاني: اتخاذ الوسائل التي هيأها الله له في الأرض لتحقيق العبودية غايات

فحينما يستجيب الإنسان لنفسه ويتبع هواه يحوّل الغاية: من وجوده التي هي عبادة الله ويجعلها قاصرة ومنصبّة على ما أخرج الله له في هذه الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ [سورة: الأنعام، آية: 130]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[سورة: الأعراف، آية: 51]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[سورة: التوبة، آية: 38]. فعندما تتحول الوسيلة إلى غآية: تصبح شهوة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[1] ويظهر الفساد في البر والبحر، وهذا هو السبب الرئيس في ظهور المشكلات التي واجهت وتواجه هذه الأمة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [سورة: الشورى، آية: 30]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة: الروم، آية: 41].

ولمزيد من البيان والتوضيح سأتحدث عن أسباب ظهور المشكلات التي تتعلق بالمسائل التي ذكرتها أثناء حديثي عمّا هيأه الله للإنسان من وسائل وسبل عمارة الأرض، يحقق بها الغاية: الرئيسة من وجوده وهي عبادة الله مخلصا له الدين.

(1) الدارمي. عبدالله بن عبدالرحمن، سنن الدارمي، (1877/3)، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، حديث رقم 2885.

المسألة الأولى: التكاثر والحفاظ على النفس

التكاثر في أصله يُعَدّ وسيلة للحفاظ على النسل يؤجر عليها الإنسان[1] إذا كان متبعا فيها شرع الله تعالى. ولا تُقصَد لذاتها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة: يوسف، آية: 33]

فإذا تحوّل التكاثر من وسيلة إلى هدف مقصود لذاته أصبح شهوة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ... ﴾[سورة: آل عمران، آية: ١٤] ، تؤدي إلى ظهور الزنى، وظهور باقي الفواحش المتَعَلِّقة بالجنس مما ينادى إليه في هذا الزمان، من مثلية وإباحية، باسم الحرّيَّة الشخصية. ويؤدي ذلك إلى ظهور الفساد في الأسرة إذا لم يلتزم المسلم بشرع الله في كل المسائل التي تُنَظِّمُ العلاقة الزوجية، ومن ذلك؛ إذا طلّق الرجل زوجه طلاقًا بائنًا لا يجوز له أن يأتيها، وغياب التقوى يسوق إلى مصائب، وما يكون من علاقة وأبناء بعد ذلك فَحُكْمه لا يخفى على أحد من العلماء. وإذا دخل الفساد إلى الأسرة فلا محالة سيؤثر سلبًا على المجتمع كُلّه. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[سورة: الإسراء، آية: 32]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ ﴾[سورة: الأنعام، آية: 151]، ويُزَيّن الشيطان للإنسان هذه الفواحش، بالتحايل على الأحكام الشرعية، أو بتغيير التسميات لتنتهك حدود الله.

المسألة الثانية: الرزق والمال

الرزق والمال من وسائل عمارة الأرض لا يُقصَدُ لذاته، وقد أوجب الله فيه حقوقا كي ينتفع به جميع الناس ولا يكون دولة بين شرائح محددة في المجتمع قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة: التوبة، آية: 103 –

(1) ينظر القشيري. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (697/2)، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم 1006.

104]، فمن آمن بالله أيقن أن التعبير الوارد في الآية: الكريمة بقول الله تعالى ﴿ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ إنما يدل على شيء عظيم فلا يمكن أن يتصدق بالخبيث ... وبذلك يَعُم الخير على جميع الناس ولا يكون للفقر بينهم سبيل.

فإن تحوَّل المال من وسيلة إلى هدف أصبح شهوة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [سورة: آل عمران، آية: 14] ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [سورة: القصص، آية: 79] و استمرأ الإنسان جمعه وكنزه بآية: وسيلة، فستظهر السرقة والرشوة ...، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة: التوبة، آية: 34].

وظهر الرِّبا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ ﴾[سورة: البقرة، آية: ٢٧٦]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 278 – 279]، فأي نجاح وتوفيق يكون مقابل حرب الله ورسوله؟؟ لا محالة ستظهر المشكلات المالية والاجتماعية وها نحن نشهد ماذا يحل باقتصاد البلاد التي تلجأ للقروض الربوية ....ونشهد أيضًا كيف يتم تقييم الناس وفقا لما يملكون من مال، ونشهد الأعداد الكبيرة من المشردين في الدول الغنية المتقدمة، وتجارة الأعضاء والاستعباد وتجارة الجنس، والمخدرات، وحرص أناس على التكاثر فجمع المليارات من لو عاشوا أضعاف حياتهم ما أنفقوها.

ويُزَيّن الشيطان للإنسان الذي يأكل الربى بالتحايل على النصوص الشرعية وتسميته بأسماء أخرى نحو الفائدة لأجل أو الفائدة المركبة... وإيهامه بأمنيات ووساوس الغنى والسلطان.

المسألة الثالثة: الحُكم والسلطان

الحُكْم والسلطان وسيلة لتنظيم المسؤولية بين أفراد المجتمع ولتحقيق العدالة الإلهية، ولإقامة الشريعة، والعمل على تَقَدُّم الأمة في مختلف السُبُل.

أما إن أصبح الحُكمُ والسلطان هدفا فإنه بذلك يتحوّل إلى نقمة على الناس، واستعباد لهم وتضييع لشرع الله وتكبر وعلو في الأرض وحرص على تحقيق المتع الدنيوية، فلا مجتمع يقوم ولا حضارة تنشأ ولا تجارة تنجح...وتظهر المشكلات في المجتمع بجميع أنواعها من كلِّ حَدَب وصوب؛ فيفقد الأمان ويحل الفقر وينتشر الموت والمرض ... وها نحن نشهد ماذا يَحِلُّ في الدول التي يتصارع أهلها على السلطة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 258]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [سورة: القصص، آية: 38]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[سورة: غافر، آية: 29]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [سورة: النساء، آية: 53].

ويقاس على ما تقدم في هذا المبحث كافة المجالات التي ظهرت وتظهر فيها مشكلات في المجتمع الإسلامي.

المبحث الثالث

سبيل علاج المشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية ورفعة مكانتها

لا يخفى على أحد أن المشكلات التي تواجهها الأمة الإسلامية في هذا الزمان متغلغلة في جسدها كالسُّم الزعاف، الذي يجعلها كالجسد دون روح. ويصدق فيها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ. قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ » [1]

هذا الحديث الشريف يشير إلى حال المسلمين ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بغثاء السيل –الذي هو ما يحمله السَّيل من رغوة ومن فُتات الأشياء التي على وجه الأرض[2]– يدل على ضعف حملهم لهذا الدين وعدم ثبات الإيمان في قلوبهم وهذا المعنى نشهده في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة: الحجرات، آية: 14]

أما الترياق الشافي من كل هذه المشكلات، بل الذي من شأنه أن يرفع قدر هذه الأمة فهو مبثوث في آيات القرآن الكريم، ألا وهو تحقيق التقوى؛ باليقين والإخلاص لله في العبادة وعدم الغفلة عن الله تعالى إطلاقًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[سورة: الرعد، آية: 11] ، فهذه هي حقيقة الإسلام، وما تنطق به آيات القرآن الكريم.

(1) الشيباني. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (82/37)، باب ومن حديث ثوبان، حديث رقم 22397.

(2)–عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، (1595/2).

فهداية: الكتاب متحققة للمتقين؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 1–2]، والمعيّة الإلهية وولاية: الله ملازمة لهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [سورة: البقرة، آية: 194]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [سورة: الجاثية، آية: 19] ، ومحبة الله محققة لهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[سورة: آل عمران، آية: 76]، والله يتقبل الأعمال منهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[سورة: المائدة، آية: 27]، والمتقين في جنات وعيون لهم فيها ما يشاؤون تتوفاهم الملائكة طيّبين تتلقاهم بالسلام مبشرين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾ [سورة: الحجر، آية: 45]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۞ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۞ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۞ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۞ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۞ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [سورة: الدخان، آية: 51 – 56] ، والمتقين يحشرون يوم القيام للرحمن وفدًا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴾ [سورة: مريم، آية: 85] ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۞ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [سورة: القمر، آية: 54–55]

ولتحقيق تقوى الله لابد من الالتزام بالصراط المستقيم والتمسك بآيات الكتاب الكريم لنطهر قلوبنا ونخرج ما سوى الله منها، ونسعى لتحقيق الهدف الأسمى من وجودنا في هذه الحياة وهو إخلاص العبادة لله تعالى، والمحافظة على ذكره وتسبيحه وعدم الغفلة عنه، وبث كل ما من شأنه أن يسهم في تحقيق ذلك عبر وسائل الاتصال، والحرص على زرع هذه القيم في أبنائنا، فالخير كله يتحقق في تنشئتهم نشأة قرآنية تهدي قلوبهم تُبَيّن لهم سواء السبيل. ولا بد من بيان زيف كل الدعوات التي تخالف الدين وتُجَرِّد الإنسان من قِيَمِه وأخلاقه ومنع انتشارها.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، في ختام هذا البحث أشكر السادة العلماء الذين تفضلوا بالالتفات لهذا الموضوع بالغ الأهمية والحاجة إليه ملحة؛ إذ فيه تدارك الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وهذه أهم الأمور التي ظهرت من خلال هذا البحث؛

1. نعم الله على عباده لا تُعد ولا تحصى وأعظمها على الإطلاق أن أذن لهم بعبادته وبَيَّن لهم سُبُلها.
2. كل ما أخرجه الله تعالى لعباده في هذه الأرض من زينة ومتاع... هي وسائل تهيئ للإنسان عمارة الأرض
3. العبادات والطاعات وتطبيق الشرائع التي أنزلها الله سبحانه وتعالى لا يقبلها الإنسان من عباده إلا إن كانت خالصة لله رب العالمين
4. الاتباع التام وعدم الغفلة عن الله تعالى هو حقيقة الإسلام وبه تكون العزة والسؤدد
5. الغفلة عن الله ومعصية أوامره تُضِلّ الإنسان عن الصراط فيتبع هواه الذي لن يسوقه لخير أبدا فيجعل الوسائل التي أخرجها الله له غايات في هذه الدنيا، ولا يتبع أحكام الله وشرائعه التي تنظمها، فيظهر الفساد وتظهر المشكلات في جميع المجالات
6. علاج جميع المشكلات سهل يسير يكمن في تحقيق التقوى والرجوع إلى تحقيق الغاية الرئيسة التي خُلِق من أجلها الإنسان، فبها تستقيم الحياة وتنتفي جميع المشكلات.

وختاما أوصي طلبة العلم والباحثين إلى البحث التفصيلي للمسائل التي وردت في موضوعات هذا البحث ونشر العلم والسعي الحثيث للذَّب عن حياض الدين الإسلامي الحنيف. وبفضل الله تتم الصالحات وهو من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

الأزدي، معمر بن راشد، (1403هـ) *الجامع*، تحقيق: حبيب الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ط2.

الأسفرائيني، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، (1998)، *مسند أبي عوانة*، الطبعة الأولى، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، بيروت: دار المعرفة.

الأصبحي. مالك بن أنس أبو عبد الله (1991)، *موطأ الإمام مالك*، ط1، تحقيق: د بشار عواد ومحمود محمد، مؤسسة الرسالة – بيروت.

البُخَارِيّ، محمد بن إسماعيل الجعفي (1993)، *صحيح البخاري*، ط5، تحقيق د. مصطفى البغا، بيروت، دار ابن كثير واليمامة.

الترمذي، محمد بن عيسى، (1975)، *الجامع الصحيح سنن الترمذي*، ط2، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر.

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، (2000)، *سنن الدارمي*، ط1، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة السعودية.

الشيباني، أحمد بن حنبل، (1994)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، ط1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مصر، المطبعة الميمنة، بيروت مؤسسة الرسالة.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد، (2008)، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط1، عالم الكتب.

القشيري، مسلم بن الحجاج، (1955)، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.